الفصل السادس

أهم خصائص التربية الإسلامية

أهم خصائص التربية الإسلامية

تتميز التربية الإسلامية المنبثقة أساسا من التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، والمرتبطة بالموقف الحضاري للأمة المسلمة، بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من مناهج التربية، فهي:

أولا: تربية عقائدية [1] :

إذا بحثنا اليوم عن أسباب عدم تمسك المسلمين بدينهم وجدنا السبب الأول هو أزمة الإيمان أو مشكلة الإيمان. ثم إن دعاة الإلحاد يضعون الخطط المدروسة لإيقاع الناس في شراك الكفر ليهدموا الدين من أساسه. فإذا كونا إيمانا علميا قويا حيا بالله وبالإسلام كدين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أدخلنا محركا في القلوب يحرك الإنسان إلى الالتزام بالإسلام.

والذين يقولون بألسنتهم آمنا ولا يعملون بموجب إيمانهم، فإن في إيمانهم شكا؛ لأن علامة الإيمان العمل الصالح. قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» [2].

وقال أيضا: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [3].

وقال أيضا: «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» [4].

---

(١) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د. مقداد يالجن، ص١٤١-٢٢٨ باختصار.

(٢) البخاري (٦٠١٨).

(٣) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥/ ٧١).

(٤) مسلم (٢٥٦١ / ٢٦).

وقال: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[1].

ولهذا كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا بنزول أمر واجب أسرعوا لأدائه، وإذا نزل تحريم أمر انتهوا عنه.

فما السر فى هذا كله؟

السر هو: وجود الإيمان الحقيقي الراسخ. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

وإذا كان الأمر كذلك فما السبيل إلى ذلك الاعتقاد الفعال؟

السبيل هو التربية الإيمانية أو التربية الاعتقادية.

والجانب العقائدي من أكثر الجوانب التربوية أهمية، لأنه الأساس في الدين وفي بناء الأمة الإسلامية، فبقدر ما تكون العقيدة في الأمة راسخة، تكون الأمة قوية متماسكة ملتزمة بالسلوك الذي تقتضيه هذه العقيدة.

فالعقيدة طاقة لا تنفد للأفراد والجماعات، وبقدر هذه الطاقة يتحمل المؤمنون المسؤوليات ويلتزمون بالأعمال.

والعقيدة الراسخة هي السر في تكوين الرسول ﷺ تلك الأمة القوية، وهو السر في الوقت ذاته في بناء الأفراد الأقوياء الذين كانوا لبنات تلك الأمة القوية.

ولقد ركز رسول الله ﷺ طوال عهده في مكة على غرس مبادئ العقيدة في نفوس أصحابه، وذلك بهدم العقائد الباطلة وتطهير العقول والقلوب منها أولا، ثم بغرس

---

(١) البخارى (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧ / ١٠٠).

(٢) المائدة.

العقيدة الصحيحة في نفوسهم، ومن ثم العمل على زيادة إيمانهم بالوسائل المختلفة.

وسائل التربية الاعتقادية :

* تجنب طريقة التلقين الصورى، التي دأب المسلمون في الآونة الأخيرة على تلقينها لأبنائهم، والتى كانت السبب في ضعف العقيدة لديهم، ذلك أنهم يكادون يقتصرون في دعوتهم على الإيمان التقليدي الذي لا يخلق في الإنسان حركة ولا تفاعلا ولا طاقات كان الأوائل مزودين بها، وكذلك أصبحت العبادة تبعا لذلك عبارة عن صورة وطقوس أكثر من أن تكون روحا وإشراقا ورقيا روحيا في معارج الترقي ومواصلة التقرب إلى الله الخالق باستمرار.

* التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة، وأهم تلك الجوانب بيان الصفات التي تصور الله في حالة قريبة من الإنسان بحيث يراه ويرعاه. منها:

الإيمان بالله باعتبار أنه خالق الكون والإنسان، وأنه خلق من أجل الإنسان كل هذه النعم ، وسخر له كل هذه الأشياء في السماء والأرض، لينعم بها وليعبده شاكرا وحامدا ومقدرا نعمه الظاهرة والباطنة.

والإيمان بالحياة الآخرة وأنها هي الحياة السعيدة بمعنى الكلمة، وهي لمن اتقى الله وسار في طريقه وأطاع أوامره، وأن كل إنسان سيجد جزاءه فيها إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

والإيمان بأن القوانين التشريعية التي أنزلها الله صادرة عن إرادة إلهية لتنظيم حياة الإنسان على أكمل وجه، وأن الطريق المستقيم الذي بينه الله بتلك المبادئ للإنسان هو طريق الفلاح والنجاة وطريق السعادة في الدنيا والآخرة. وأنهم حينما خرجوا على تلك المبادئ تعسوا في حياتهم الفردية والاجتماعية وأصيبوا بالأمراض النفسية والجسمية والاجتماعية. والتركيز على ما في الإسلام من إعجاز علمي وتشريعي وتربوي، وخاصة

جوانب الإعجاز البديهي التي لا تقبل المجادلة والمناقشة، وذلك ليستطيع المسلمون الدفاع عن دينهم دفاعا قويا وليشعروا بالاعتزاز بإيمانهم الكامل الراسخ بالله وبالإسلام وبمنطقه المقنع الذي يتميز بملاءمته للمجتمع وعدم خصوصيته لزمرة من العلماء أو الفلاسفة.

ثانيا: تربية إرادية :

لا يمكن بناء الشخصية الإسلامية القوية بدون تكوين الإرادة القوية، ولا يمكن تكوين هذه الإرادة إلا بالتربية الإرادية.

* الإمام أبو حامد الغزالي يرجع ضعف الإرادة إلى: عدم توفر الاعتقاد أو الإيمان العلمي المقنع فيقول: (فالمانع من الوصول عدم السلوك، والمانع من السلوك عدم الإرادة، والمانع من الإرادة عدم الإيمان،وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى والهادين إلى طريقه، فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله من السالكين) [1].

* ومن الأسباب: عدم وضوح الغرض من الفعل وعدم بيان حاجة المرء إليه، يقول الإمام الغزالي: (وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة لغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها، وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحو قصده)[2] .

* ومن الأسباب: عدم العمل وفقا للإرادة، لأن الجهد المرافق للإرادة يقوي الإرادة ويغذيها [3].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٧٤.

(٣) جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د. مقداد يالجن ، ص ٤٤٥-٤٥٠.

تربية الإرادة :

هناك طرق كثيرة لتربية الإرادة منها:

١- اختيار ميدان من ميادين السلوك الفطري المعتاد، لتدريب الإرادة على ترك بعض ذلك السلوك الفطري المعتاد في فترات محدودة كل يوم مثل ترك بعض الأطعمة الشهية التي اعتاد المرء تناولها كل يوم.

ومن ألوان التدريب الإرادي التي قررها الإسلام الصوم عن الأكل والشرب والجنس كل سنة فى شهر معين وفى ساعات معينة فى كل يوم، ثم شجع على مزيد من هذه الرياضة فى أيام السنة.

ومن هذا القبيل كل الممارسات الإرادية على الزهد في متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة فى المأكل والمشرب.

ومن هذا اللون أيضا الالتزام ببعض المبادئ الأخلاقية مثل محاولة التغلب على السلوك الفطرى، كالتغلب على الغضب وكظم الغيظ ودفع الإساءة بالإحسان للتغلب على روح الانتقام أو الثأر الذي هو سلوك فطري في الإنسان، «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» [1].

وهذا الحديث يوحي بالتدريب على مغالبة الغضب .

وفى الحديث : «من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أي الحور شاء» [2].

٢- ممارسة أنواع التدريب الإرادي الخاصة بالقيام بالأعمال الإيجابية أو الخاصة بالبذل وهو عبارة عن بذل الجهد وبذل المال ثم بذل النفس.

---

(١) البخارى (٦١١٤) .

(٢) الترمذى (٢٤٩٣) .

ففي ميدان بذل الجهد، يقول النبي ﷺ :«على كل مسلم صدقة» قيل : أرأيت إن لم يجد، قال: «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» ،قيل أرأيت إن لم يستطع؛قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»،قيل: أرأيت إن لم يستطع،قال: «يأمر بالمعروف أو الخير» ، قيل: أرأيت إن لم يفعل،قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة »[1]. وقال أيضا: « تعدل بين الاثنين صدقة،وتعين الرجل في دابته ، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة،والكلمة الطيبة صدقة،وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة،وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[2].

وفي ميدان بذل المال ، يقول الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [3] ، بحيث تصبح إرادة بذل المال أقوى من نزعة الشح أو البخل، وإرادة الإيثار أقوى من إرادة الإثرة.

وفي ميدان بذل النفس، فإن الإسلام لا يكتفي بتكوين إرادة قوية لدرجة الاستعداد لبذل الجهد والمال في سبيل الخير، بل يعمل لتكوين إرادة قوية لدرجة الاستعداد لبذل الدم والنفس إذا اقتضت الأمور ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[4] .

ثالثا: تربية إنسانية :

بعث الله تعالى في كل أمة رسولا منهم ينذرهم ويعلمهم.. وبعث محمدا ﷺ للناس كافة.. والرسالة في جوهرها واحدة تدعو: إلى عبادة الإله الواحد ، والإيمان بالبعث واليوم الآخر ، وتدعو إلى مكارم الأخلاق.

ولقد وضّح رسول الله ﷺ تواصل حلقات الرسالة، فقال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه، فجعل

(١، ٢) مسلم (١٠٠٨/ ٥٥) ، (١٠٠٩/ ٥٦) .

(٣) التوبة :١٠٣ .

(٤) آل عمران.

الناس يطوفون به، ويعجبون له ، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» [1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [2].

رسالة ممتدة فى الزمان، متسعة في المكان، ربانية المنشأ، إنسانية المحتوى.

وفى حين تلتقى مناهج التربية الأخرى على هدف إعداد المواطن الصالح.. وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد مواصفاته، فقد يكون الجندي الشاكي السلاح الذي يدافع عن الوطن، وقد يكون الرجل الطيب المسالم، وقد يكون الناسك المتعبد، وقد يكون العنصري المفتون بعنصريته.. وقد يكون أى شيء آخر ، ولكنها تشترك كلها في هدف واحد هو إعداد المواطن الصالح.

ومن آثار هذه النظرة الضيقة التي تربط الفرد بأرضه، أنها كثيرا ما تشجع الناشئة على تقبل بذور التعصب العنصري، أو التمايز العرقي أو اللوني، بحيث أصبحنا نجد (اليوم) في التربية الغربية الحديثة جامعات لا تزال ترفض الاعتراف بمساواة الطلاب الملونين بالطلاب البيض، ولا تسمح بعضها للملون بالتخصصات العلمية الدقيقة الراقية، تماما كما تمنع الملونين من دخول بعض المطاعم والفنادق [3].

أما منهج التربية الإسلامي فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد المواطن الصالح فحسب، إنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو إعداد الإنسان الصالح المصلح. الإنسان على إطلاقه، بمعناه الإنساني الشامل. الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه. الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن في هذه

---

(١) البخارى (٣٥٣٤) ، ومسلم (٢٢٨٦/ ٢٢).

(٢) آل عمران.

(٣) الرسول العربى المربى : د. عبد الحميد الهاشمى ص ٣٩٢.

البقعة أو تلك ، يتكلم هذه اللغة أو تلك ، أبيض البشرة أو أسودها أو أصفرها ، وذلك معنى أشمل من كل مفهوم آخر للتربية [1] .

لقد كان المجتمع الإسلامي الأول يضم القرشي العربي، كما يضم الفارسي والرومي والحبشي. حيث لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2].

والخطاب هنا لعامة الناس.. بدون تمييز.

كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية ، فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والخليل وسيبويه والكندى والغزالى والفارابى وابن رشد وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم [3] .

المسلمون اليوم، يعيشون فى أكثر بقاع الأرض، ينحدرون من أعراق مختلفة، ويتكلمون أكثر من مائة لغة، ولكنهم ينهلون جميعا من أصول واحدة، وهذه شهادة إنسانية-تاريخية ومعاصرة تثبت أن محمدا ﷺ هو صاحب الرسالة الخاتمة وأن دعوته إنسانية شاملة.

والمسلم الذي ينهل من معين التربية الإسلامية، شخص إنساني النزعة يفيض قلبه بالعطف على بنى الإنسان :

يتذكر معهم وحدة المنشأ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [4].

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب١/ ١٤ بتصرف قليل.

(٢) الحجرات : ١٣.

(٣) من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي ص ٦٥.

(٤) الأعراف : ١٨٩.

ويتذكر أخوّته لبنى البشر فيحسن معاملتهم: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

يحب للناس الخير، ويحس نحوهم بالرحمة، ويعين صاحب الحاجة. قال النبي ﷺ: «إنْ من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة، في كل يوم طلعت عليه الشمس»، قيل: يا رسول الله، من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ قال: «إن أبواب الخير لكثيرة. التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف»[2].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾[3].

تغاضب أبو ذر، وهو عربي من غفار، مع بلال الأسود الحبشي مولى أبي بكر ﷺ. وكان أبو ذر وبلال صحابيين ممن آمن بالإسلام ورسوله، وتطور النزاع بينهما إلى أن أخذت أبا ذر الحدة فقال لبلال: يا بن السوداء! فشكاه بلال إلى النبي ﷺ فقال لأبي ذر: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية!» فقال أبو ذر- وقد ظن الجاهلية هي الانحراف الأخلاقي الشهواني الذي لا يأتيه إلا الشباب: على ساعتي هذه، من كبر السن؟ قال: «نعم، هم إخوانكم»[4].

فندم أبو ذر وتاب حتى أنه أمر بلالا أن يطأ على وجهه مبالغة في التوبة والندم.

وسرقت امرأة من بني مخزوم في عهد النبي ﷺ وجيء بها لتعاقب، فأهم ذلك قريشا، وقالوا: من يشفع لنا عند رسول الله ﷺ في إسقاط الحدّ عنها؟ ثم ذكروا أن أسامة

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) ابن حبان في الموارد (٨٦٢).

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١/ ٣٨).

ابن زيد حبيب إلى قلب الرسول فكلموه في أن يشفع لها عنده، فكلمه بذلك فغضب عليه الصلاة والسلام غضبا شديدا ، وقال لأسامة: « اتشفع في حدّ من حدود الله؟! ثم قام في الناس خطيبا » ، فقال : «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [1] .

إنه إنسانى في كل أحواله مع الإنسان ومع غيره، قال النبي ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» [2].

واقع المسلمين :

إذا ألقينا نظرة على مسلمي اليوم نجد أكثرهم بعيدين عن السمات الإنسانية التي قررها الإسلام ، تجدهم متعصبين لقومهم ، متعصبين ضد الآخرين من غير دينهم ، البعد الإنساني لا يكاد يظهر في تربيتهم ،نجد هذا عند عامة المسلمين ، كما نجده عند بعض منتسبى العمل الإسلامى، ويعود ذلك بكل تأكيد إلى خلل فى المنهاج التربوى الذى لم يحسن صياغة المسلم الإنسان.

إن التعصب للقوم والقبيلة يبعد الإنسان عن الهداية.. فهذا أبو جهل عمرو بن هشام يقول: زاحمنا (بنو عبد مناف) في الشرف، أطعموا فأطعمنا. حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي يوحى إليه. والله لا نؤمن به، ولا نتبعه أبدا، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

صرفه الغيرة والحسد والتعصب المذموم عن الهداية ورؤية الحق والالتزام به.

---

(١) البخارى (٦٧٨٨) ، ومسلم (١٦٨٨/ ٨) .

(٢) مسلم (١٩٥٥/ ٥٧) ، والترمذى (١٤٠٩) .

رسل إلى قادة العالم :

فى أواخر السنة السادسة للهجرة (٦٢٨م)، بعد صلح الحديبية، أصبح المجال مفتوحا أمام النبى ﷺ للتخطيط الدقيق والعملي لتحقيق إنسانية الدعوة ، بدأت الخطة بإرسال الرسل إلى قادة الدول التى كانت تتنازع السيطرة والتنافس على الأرض المعروفة يومذاك،دعاهم بدعاية السلام والإسلام ، وحمّلهم المسؤولية عن أنفسهم وقومهم.

الإعلان العالمى لحقوق الإنسان :

وفى السنة الهجرية العاشرة . دعا رسول الله ﷺ المسلمين لأداء فريضة الحج ، وفى عرفة ألقى البيان العالمى لحقوق الإنسان قال:

* « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم ،
* ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها ،
* ألا وكل ربا الجاهلية موضوع ،
* وإن دماء الجاهلية موضوعة ،
* لا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض،
* يا أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا .
* يا أيها الناس: إنما المؤمنون أخوة،
* أيها الناس: إن ربكم واحد. وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب.. وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى.. ألا هل بلغت.. اللهم اشهد »[1].

أليس هذا الخطاب الرسالي العظيم الذي أكد وحدة المنشأ الإنساني، ووحدة المصير لجميع بني البشر ، هو بحق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟!

---

(١) مسلم (١٢١٨ / ١٤٧).

تزعم الأمم الغربية أنها هي التي وضعت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وكثيرا ما تلمز المسلمين وتصفهم بأبشع الأوصاف ، ومع ذلك فلا يخلو الأمر من شهادات تظهر بين الحين والآخر، على لسان بعض ساسة الغرب ومفكريه ، فهذا وزير الخارجية البريطاني روبين كوك يصرح في الخطاب الذي ألقاه في أحد المراكز الثقافية الشرقية بلندن: بأن الثقافة الغربية مدينة للإسلام وحضارته. واعتبر أن الإسلام هو أول دين وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة مهمة وكبيرة في الحضارة الغربية ، واعترف قائلا: إن جذور ثقافتنا الإنكليزية ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب، بل هي إسلامية أيضا.. يقول البعض: إن الغرب بحاجة إلى عدو بعد انتهاء الحرب الباردة، وإن الإسلام هو العدو، بل نحن بحاجة إليه كصديق.

وقد سبق كوك الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا الذي تحدث في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣م ، في محاضرة له بعنوان (الإسلام والغرب)، فقال: (إن الغرب أخطأ في فهم الإسلام، وإن موقفنا من الإسلام غير مناسب، وذلك لأننا لم ننظر إلى الإسلام إلا من خلال منظر التطرف، بناء على بعض الافتراضات، إننا لم نبذل جهدا في تفهم الإسلام بأسلوب حيادي، ومن الخطأ جدا أن يقال: إن القوانين الإسلامية جائرة لا علاقة لها بالإنصاف).

هذه الشهادات من بعض علماء الغرب وقادته واعترافهم بدور الإسلام في تكوين الحضارة الإنسانية ، بالإضافة لكونها شهادات صدق وحق ، فهي أيضا تنبه المسلمين إلى ضرورة متابعة دورهم في خدمة الحضارة الإنسانية ، وأجمل ما قيل في هذا الصدد خطاب أحد أساتذة جامعة تنسي الأمريكية أمام حشد من المسلمين وغيرهم في مدينة غلاسكو في بريطانيا، خاطب المسلمين قائلا:

(إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علميا أو تقنيا أو اقتصاديا أو سياسيا أو عسكريا، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام، أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملونه ، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في

مختلف جنبات الأرض، تعلموا الإسلام وطبقوه واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا ويدين لكم كل ذى سلطان) [1].

فهل يتابع المسلمون رسالتهم الإنسانية؟!

رابعا: تربية شاملة :

لقد تميزت المناهج التربوية المختلفة بالتركيز على جانب واحد من جوانب حياة الإنسان ، فركز بعضها على الجانب المحسوس ، على أساس أن الحقيقة هى ما تدركه الحواس ، وما لا تدركه فهو غير موجود ، وكانت النتيجة أن استمتع الإنسان بالحياة الأرضية أعظم استمتاع، ثم انهار المتاع كله نتيجة خواء الروح من الإيمان وخواء الحياة من العقيدة.

وركزت بعض المناهج الأخرى على الجانب الروحي في الإنسان ، آمنت بأن هذا الجانب هو الجوهر الحق ، وكل ما عداه خداع لا يثبت على حقيقة ، وراحت تغذي الروح.. وتقهر الجسد ؛ لأنه دنس لا ينبغي أن يكون.

وكذلك ركزت بعض المناهج على الجانب العقلي في حياة الإنسان .

في التربية المسيحية كان التركيز على خلاص الإنسان من أدران الرذيلة.

وفي التربية الطبيعية يرى (روسو) المربي الفرنسي، أن الهدف من التربية يتمثل في تزويد العقل بالمعرفة.

ويرى (جون ديوى) المربى الأمريكى، وهو من أعلام التربية البراجماتية (العملية)، أن النمو هو الغاية من التربية.

وثمة من يرى أن المجتمع لا الفرد هو غاية التربية.

ويرى (رينان) الإنكليزي أن الفرد لا المجتمع ولا الدولة، هو هدف التربية.

أما التربية اليونانية فلم تنظر نظرة واحدة إلى مواطنيها، فالناس طبقات .

---

(١) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر: د . زغلول راغب النجار ص١٣٧.

أما (روسو) فقد نظر بإنصاف إلى العقل البشرى ، بينما جحد المرأة حقها وجعلها لا ترتفع عن مرتبة الخدم والعبيد [1] .

وتفرد الإسلام عن المناهج كلها ، فقد عالج النفس البشرية جسماً وعقلاً وروحاً ممتزجة مترابطة في كيان واحد ، فاستغل بذلك كل طاقات الإنسان ، فلم يهدر منها واحدة يمكن أن يُنتفع بها في عمارة الأرض.

لقد اهتم الإسلام بتربية الجسم وأعطاه حقه ، قال رسول الله ﷺ : «إن لبدنك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه» [2].

واهتم الإسلام بتربية العقل .. فهو الوسيلة لتدبر آيات الله في النفس والكون، وتدبر حقائق الوحي وحقائق الحياة [3] ، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [4].

ولقد تنبه الإمام أبو حامد الغزالى (أحد رواد الفكر التربوى الإسلامى) لهذا الأمر عند حديثه عن ميزات المنهاج التربوى الإسلامى، فنصح المتعلم بألا يهمل دراسة أى علم من العلوم المحمودة سواء كانت دينية أم دنيوية، بقدر يمكنه من معرفة أغراضها وما تبحث فيه [5] ، وإن كانت هناك فرصة فليتبحر المتعلم فيها بادئا بالأهم فالمهم ، ويتابع الغزالي فيقول : إن المعرفة المتعددة النواحي أفضل من المعرفة المحدودة ؛ ذلك لأن العلوم المختلفة يعين بعضها بعضا كما أن الاختصاص الضيق يتسبب فى التعصب لعلوم دون الأخرى. ويسعى الغزالى من وراء ذلك إلى تحقيق التكامل بين قوى الإنسان

---

(١) معجزة الإسلام التربوية: د. محمود أحمد السيد ص ٢٨.

(٢) البخارى (١٩٧٥) .

(٣) خصائص التصور الإسلامى: سيد قطب ص١٤١.

(٤) الحج.

(٥) المذهب التربوى عند الغزالى : فتحية سليمان ص ٤١.

المختلفة سواء الجسمية أو العقلية أو النفسية أو الروحية منها ، فالإسلام يشمل حياة الإنسان من جميع وجوهها مادية كانت أم مدنية أم اقتصادية أم أخلاقية أم روحية [1] .

كل جانب من جوانب الشخصية الإنسانية يؤثر سلبا أو إيجابا فى الجانب الآخر ويتأثر به، يقول رسول الله ﷺ : «ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» [2] .

إن الإنسان الذى رعته (التربية المادية) إنما أعتنت بجانبه المادي فحسب. وجعلته يسخّر العلم ومنجزاته التطبيقية لإشباع غرائزه البدائية في حب السيطرة والمقاتلة والعدوان ، إن الإنسان ليصف بعض الحيوانات بأنها مفترسة، ولكن عدد الآدميين الذين افترستهم هذه الحيوانات لا يساوي شيئا أمام الذين قتلوا على يد الإنسان الذي نُشّئ على التربية المادية [3].

خامسا : تربية متوازنة :

ومن خصائص المنهج الإسلامي في التربية التوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [4]. وسطا فى كل شيء، متوازنين فى كل ما تقومون به.

لقد صانت هذه الخاصية الفريدة المسلمَ من الاندفاعات هنا وهناك، والغلو هنا وهناك ، والتصادم هنا وهناك ، لأن هذه الآفات لم يسلم منها أى تصور آخر سواء التصورات الفلسفية أو التصورات الدينية التي شوهتها التصورات البشرية بما أضافته إليها أو أنقصته منها أو أولته تأويلا خاطئا، وأضافت هذا التأويل إلى صلب العقيدة [5] .

---

(١) آفاق التربية الحديثة : محمد فاضل الجمالى ص ١٢٩.

(٢) البخارى (٥٢) .

(٣) الرسول العربى المربى : د. عبد الحميد الهاشمى ص ٣٩٦.

(٤) البقرة : ١٤٣.

(٥) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته: سيد قطب ص ١١٤.

إن استغلال الإنسان لطاقاته جميعا بشكل متوازن، يحدث توازنا في داخل النفس وفي واقع الحياة سواء. فالتوازن في نظر الإسلام يشمل كل نشاط الإنسان. توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته.. توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. توازن في كل شيء في الحياة [1].

وأخيرا توازن بين الجد واللعب ، فإذا بقى الإنسان ملتزما جانب الجد، فإن طاقته تكل، وإذا كلت عميت وضلت ، يعلمنا رسول الله ﷺ كيف نلتقط أنفاسنا، ونعطى بعض الراحة لأنفسنا فيقول: «ساعة.. وساعة..».

إن بعض الدعاة المتشددين يسيؤون الظن بالدعابة ، فهى في رأيهم تذهب بالوقار، ولكن رسولنا الكريم ﷺ يعلمنا كيف نستخدمها فى الوقت المناسب. وبالقدر المناسب. لتريح الأعصاب ، وتنعش النفس . وتطرد التعب والسأم.

ومن معين النبوة يقول سيدنا على ﷺ : (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن النفس إذا أكرهت عميت) . فالقلوب تمل كالأبدان ، وتحتاج إلى ترويح قليل تستعيد فيه نشاطها وقدرتها.

إن اختلال التوزان التربوي، في السابق واللاحق، هو الذي كان وراء العديد من الانحرافات التي لحقت بالمجتمع الإسلامى ، فالفلاسفة ومن أعجب بهم أو اتبعهم جنحوا بقواهم العقلية ، وكادوا أن يذهبوا بالإسلام بعيدا عن فطرته وطبيعته ، وبالمقابل كانت هناك فئات جنحت بقواها الروحية بعيدا عن فطرة الإسلام.

الإمام الغزالى يشير إلى سمة التوازن بلفظة الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط ويؤكد على هذه الخاصية التي يرى فيها أساسا من أسس التربية الإصلاحية انطلاقا من قوله ﷺ: «الوسط العدل » [2].

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ٢٧.

(٢) أحمد (٣/ ٣٢) .

فاختلال أي جانب من جوانب شخصية الإنسان يفقدها التوازن الذى هو من صفات الإنسان المسلم [1] .

وعليه فإن خاصية التوازن تقتضي ممن يشرفون على تربية النشء أن يأخذوا في الاعتبار قدرات هؤلاء الجسمية والعقلية والروحية ، فلا يهتمون بإبراز ناحية على حساب الأخرى ، فيحصل الخلل التربوى وما يستتبعه من القلق النفسي والاضطراب السلوكى .

فإذا رأيت المناهج أو من يطبقونها تهتم بالرياضة مثلا وتهمل القراءة، أو تحرص على القضايا التعبدية وتهمل القضايا السياسية والاجتماعية، أو تنظر للعلوم الإدارية نظرة استخفاف ، فاعلم أنها تربية ناقصة لا يمكن أن تنتج عناصر إسلامية سوية متوازنة تقود الحياة ، وتغير الواقع السيئ.

لقد مرّ رسول الله ﷺ بإنسان معتكف في المسجد لا يغادره، وعندما سأل عمن يعيله، قيل له: إن أخاه يعيله يا رسول الله، فقال لهم: « إن أخاه أفضل منه» . توازن واعتدال بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة.

سادسا: تربية واقعية :

والإسلام دين واقعي في مبادئه وأخلاقياته وفي منهاجه التربوي كذلك ، ولقد وضع أسس هذه الواقعية المربى الأول محمد ﷺ ، فعندما استقل بعض أصحابه عبادته ، وقالوا: أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..؟ قال الرسول ﷺ : « ولكنى أتقاكم لله ، وإنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منّى » .

وعندما لقى الصحابى الجليل حنظلة أبا بكر ﷺ وقال له: نافق حنظلة ، فقال له أبو بكر ﷺ: وكيف ذلك؟ قال: نكون عند رسول الله يذكّرنا بالجنة والنار وكأنا رأى العين، فإذا خرجنا، عافسنا الأزواج والضيعات فنسينا كثيرا.

---

(١) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ٣/ ٦٢.

قال أبو بكر ﷺ : فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر إلى رسول الله ﷺ نخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده إن لو تدومون على ما تكونون عليه عندى ، وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، يا حنظلة ساعة وساعة، يا حنظلة ساعة وساعة » [1] .

أحس الأصحاب بهذا.. فصحح لهم رسول الله ﷺ تصورهم الخاطئ ، علّمهم أن الإنسان بشر يخطئ ويصيب ، ويتدنى ويرتفع ، ويزيد إيمانه وينقص ،وبشريته تمنعه أن يكون كالملائكة الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [2].

إن بعض المناهج التربوية الإسلامية ارتكبت خطأ كبيرا ، وساهم بعض الكتاب المسلمين فى هذه الخطيئة ، عندما صوروا لنا أن المسلم الجيد ينبغى أن يكون كالملائكة. فلا يتصورون إخوانهم يخطئون ، ومن باب أولى أن الصحابة لا يخطئون ، ولو مرّوا على قولة عمر ﷺ : أخطأ عمر وأصابت امرأة ، أوّلوها بشتى التأويل ، ولو ذكرتهم بحروب الصحابة ضد بعضهم ، لأجابوا : تلك أمة قد خلت .

هذه النظرة المثالية غير الواقعية التى انتزعت الإنسان من بشريته ورفعته فوق قدراته، وقدست التاريخ وأبطاله ، هى المسؤولة عن تجهيل المسلمين ، الذين تقوقعوا على مفاهيم خاطئة واتخذوا الأعذار لمن يستحق الحساب [3] .

المنهج الإسلامى فى التربية منهج واقعى يتعامل مع الكائن البشرى بواقعه الذى هو عليه . يعرف حدود طاقته ويعرف مطالبه وضروراته ويقدر هذه وتلك .

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [4].

﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [5].

---

(١) مسلم (٢٧٥٠ / ١٢) .

(٢) التحريم.

(٣) فى التدريب التربوى : مصطفى محمد الطحان ص ٥٤.

(٤) البقرة : ٢٨٦.

(٥) التغابن : ١٦ .

يعرف ضعفه إزاء المغريات ، وضعفه إزاء التكاليف ، يعرف ذلك فيساير فطرته في واقعها، ولا يفرض عليه من التكاليف ما ينوء به كاهله ، ويجعل التكليف الملزم في حدود الطاقة الممكنة ، ولكنه مع ذلك لا يتركه لفطرته الضعيفة دون تقويم .

الإسلام - وهو يجاري واقع الفطرة بما فيها من ضعف وطاقة محدودة - لا يغفل عن تلك الطاقة المكنونة التي تحقق المثال ، إنه يسير في نهجه على واقعية تشمل المثال في أطوائها، ومثالية لا تغفل واقع الحياة [1].

المناهج التربوية الإسلامية أو من يطبقونها . بعيدون نسبيا عن الواقع ، يدرسون السيرة النبوية وينسون أن يطبقوها على الواقع السياسي المعاش ، يدرسون المعاملات التجارية أيام النبي ﷺ ولا يعرفون شيئا عن معاملات الاقتصاد الحديث ، يدرسون تعامل الرسول مع الكفار واليهود في المدينة .. ولا يسحبون ذلك على واقعنا المعاصر .

مازالت المثالية التاريخية ما يشغلهم ، يهتمون بالتحليق في ملكوت الله ، دون النزول إلى أرض الواقع.

مثل هذه المناهج تحتاج إلى الواقعية ، ومثل هؤلاء المربين يحتاجون إلى تدريب ، حتى نفهم الحاضر على هدي الماضي ، ونخطط للمستقبل بأسلوب عملي علمي واقعي انطلاقا من الحاضر.

كثيرٌ من الذين يدرسون هذه المناهج المثالية. يخرجون من حلقاتهم كما يدخلون ، فالعلوم التي درسوها تمثل الماضي ولا ترتبط بالحاضر ، ترتبط بالمثاليات ولا ترتبط بالواقع .

العلم المفيد هو الذي يعالج الواقع ، والتربية الصالحة هي التي تتفاعل مع الواقع ، تتأثر به ويؤثر فيها .

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١/ ٣٣-٣٧ بتصرف.

سابعا : تربية عملية :

والتربيـة الإسلامية تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بنّاء أو إلى خلق فاضل أو إلى تعديل فى السلوك على النحو الذى يحقق وجود الإنسان كما تصوره الإسلام[1]، فهى لا تكتفى بالقول وإنما تتعداه إلى العمل والممارسة. ومن تمام كمال الإنسان المسلم أن تتطابق أقواله مع أفعاله، قال تعالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[3].

وإذا كانت الهوة واسعة في المناهج التربوية المختلفة بين القـول والعمـل، وإذا كـان تولستوي المفكر الروسي يصرّح بأنه من السهل أن تضـع آلاف النظريـات، ولكـن مـن الصعوبة أن تحوّل نظرية واحدة إلى تطبيق. فإن التربية الإسلامية قرنت القـول بالعمـل، والإيمان بالسلوك، وهذا ما يفرق الفلسفة التي هي مجرد معرفة ذهنية بـاردة عـن التربيـة التي هي فعل وسلوك، قال رسول الله ﷺ :«أشد الناس عذابا يوم القيامة عـالمٌ لم ينفعـه الله بعلمه» [4].

ويتساءل الإمام الغزالى فيقول: هل يحصل البرء بمجـرد معرفـة اسـم العـلاج ، أم لابد من استعماله؟

ويقول: لو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ ﴾[5].

---

(١) فى التربية الإسلامية: عبد الغنى عبود ، ص ١٥٧.

(٢) البقرة: ٤٤

(٣) الصف.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ١ / ١٩٠ ، والترغيب والترهيب ١ / ١٢٧ .

(٥) النجم.

ويقول: إن العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون. واعلم أن علما لا يبعدك اليوم عن المعاصي ولا يحملك على الطاعة لن يبعدك غدا عن النار، وإذا لم تعمل اليوم فستقول غدا: ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ [1] . فهو يحكم على العلم بمقدار انسجامه مع الشرع من ناحية، وفعاليته وقدرته على إحداث التغيير السلوكى المرغوب فيه من ناحية أخرى [2].

والعمل فى نظر الإسلام شرف وحق وواجب وحياة. وهو سبب الجزاء ووسيلة التفاضل بين بنى البشر﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [3] .

وإتقان الإنسان لعمله يكسبه قيمة بين الناس ويرقى به في مجتمعه وعند بارئه، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ﴾ [4].

والمنزلة التى احتلها العلماء فى الإسلام، لم يحتلوها لمجرد علمهم، بل لما يترتب على هذا العلم من آثار،حيث يكون العالم أقدر على القيام بمهام الاستخلاف في الأرض [5].

والخلاصة فلا يكفى لنا أن نعلم ، بل لابد أن يكون العلم وفق الشرع. ولا يكفي أن نعلم وفق الشرع ، بل لابد من تحويل العلم إلى عمل يحدث تغييرا فى السلوك ، وهذه هى التربية الإسلامية [6] .

والعمل المطلوب، ليس ما يعمّر الآخرة فحسب ، بل والعمل الذى يعمّر الدنيا كذلك، فلقد توخت التربية الإسلامية أن يكون لكل فرد دوره في بناء المجتمع كي تنتفي

---

(١) السجدة : ١٢ .

(٢) أيها الولد : الغزالى ، ص ٩٨، ١٠٨، ١١٧.

(٣) الزلزلة .

(٤) النجم.

(٥) الفكر التربوي عند الغزالي : عبد الغني عبود ص ٧٤.

(٦) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي : أيوب دخل الله، ص ٢٨٨.

البطالة، ذلك أن إعداد الفرد المنتج الفعال يعد الهدف الأسمى من وجهة نظر هذه التربية، إذ أصبحت قيمة المرء تقاس بعمله.. يعلمنا ذلك رسول الله ﷺ فيقول: «لأن يأخذ أحدكم بأحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» [1]. ويقول ﷺ: « لو أن في يد أحدكم فسيلة يود غرسها، وقامت الساعة، فلا يبرح مكانه حتى يتم غرسها» [2].

أليس في ذلك دعوة إلى إتقان العمل وإنجازه، انطلاقا من القاعدة التي اختطها رسول الله ﷺ من « أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» [3].

ألا ترى معى أن الكثيرين من أبناء الحركات الإسلامية.. يعتبرون أن أقصى عطائهم هو كونهم أعضاء فى هذه الحركات ، يحرصون على لقاء الحلقة التربوية ، ويحيطونها بطقوس خاصة. وكفى ، وكان الأصل أن ينطلق هذا الذي تزود بزاد فكري، إلى الشارع، إلى المجتمع الكبير ، يمارس الدعوة ، ويعمل على إصلاح نفسه وإصلاح غيره، وإصلاح المجتمع من خلال الميدان.

ثامنا : تربية مستمرة :

التربية المستمرة مدى الحياة من المهد إلى اللحد، من أهم الأسس التي قامت عليها التربية الإسلامية ، وما نزول القرآن منجما وموزعا على مدى الزمن الذي امتدت فيه بعثة الرسول الكريم ﷺ مرشدا ومعلما إلا دليل على استمرارية التربية عند رسول الله، فقد ارتأت مشيئة الله تعالى أن تكون تربية الرسول مستمرة في كل فترة من فترات حياته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ، قال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [4].

---

(١) البخارى (١٤٧٠).

(٢) أحمد (٣/ ١٨٤، ١٩١).

(٣) السلسلة الصحيحة للألبانى (١١١٣).

(٤) الفرقان : ٣٢.

وتثبيت الفؤاد بالقرآن ، ما هو إلا تعبير عن القدرة على وعى ما حواه من معان وألفاظ ، وهو دليل على استمرار العملية التربوية في حياة الرسول ﷺ.

ولقد حثّ رسول الله ﷺ المسلمين على متابعة قراءة القرآن وتدارسه فقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[1] . وقال أيضا: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» [2].

وهو تحفيز للمسلمين على دوام التلاوة واستمرارية التدارس فالعلم كثير والعمر قصير ، وما يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإن ظن أنه قد علم فقد جهل[3] .

لقد علمتنى فى الحياة تجاربى بأن الفتى ما عاش فى الدهر دارس

تاسعا : تربية أخلاقية :

الأخلاق عبارة عن تلك المبادئ والقواعد، المنظمة للسلوك الإنساني، التى يحددها الوحى، لتنظيم حياة الإنسان تنظيما خيرا على نحو تحقق الغاية من وجوده فى هذا العالم على أكمل وجه[4].

وإذا كانت المناهج الأخرى تبنى المواطن الصالح الذى لا يهمه ما يفعله بالآخرين ، فإن الإسلام يبنى الإنسان الصالح صاحب الأخلاق الذى يحب للآخرين ما يحب لنفسه، الرفيق الرقيق أسوته فى ذلك قائده ﷺ الذى وصفه ربه فقال : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[5].

---

(١) مسلم (٨٠٤/ ٢٥٢).

(٢) مسلم (٢٦٩٩ / ٣٨) .

(٣) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي: أيوب دخل الله ص ٣١٠ .

(٤) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام: د. مقداد يالجن، ص ٤٧.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

* لقد علمهم رسول الله ﷺ أن الشخصية السوية ينبغي أن تتحلى بالدماثة والتهذيب، الذي يفتح الباب واسعا للمحبة بين أفراد المجتمع، فالكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

* علمهم ﷺ أن الإنسان الغني بخلقه هو الغني، لقوله ﷺ: «إن الغنى ليس عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» (١)، فليس قيمة الإنسان بما لديه من مال وعقار، وإنما قيمته بما يتحلى به من خلق كريم ومشاعر نبيلة.

* علمهم ﷺ أن يتواضعوا لربهم أولا، ولإخوانهم كذلك، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

* وعلمهم ﷺ التسامح، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢) وها هو يدخل مكة، وقريش التي اعتدت عليه وعلى أصحابه، عذبوه ما وسعهم التعذيب، وتآمروا عليه ما وسعهم التآمر، وحاربوه ما استقام السيف في أيديهم، ها هو يقول لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فلم يزد أن قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٣).

* وعلمهم أن يكونوا صادقين قولا وعملا، أمناء في كل الظروف، فالمرء يطبع على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب، وحذرهم من صفات المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.

* وحذرهم من الغدر والتلون، فقال لهم: «إن من شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» (٤). وقال أيضا: «من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار» (٥).

---

(١) البخاري (٦٤٤٦).

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الرحيق المختوم ص ٣٤٨.

(٤) البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦ / ٩٨).

(٥) أبو داود (٤٨٧٣)، ومعجزة الإسلام التربوية: د. محمود أحمد السيد ص ٦٩-٨٩ باختصار.

الأخلاق جوهر التربية :

لقد حدد الرسول ﷺ الهدف من بعثته فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [1]. وعندما تقع ابنة حاتم الطائي في الأسر ، يقول المعلم الأول محمد ﷺ لأصحابه: «اتركوها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق» [2] .

ويحب رسول الله أخلاقيات عنترة (الشاعر الجاهلي) في قوله:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

قبل الحضارة الإسلامية وبعدها قامت إمبراطوريات وشمخت دول ، فكيف انهارت، ولماذا؟ لضمور الجانب الأخلاقي في تلك الأمم .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

في عالم اليوم قد تجد إنسانا في غاية الدماثة والكياسة ، فإذا عاملته بالدرهم والدينار وجدته لصا ، وإذا تعرفت عليه في عالم السياسة وجدته ذئبا يسير على قاعدة: إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب ، وإذا راقبته في أموره ، رأيت مذهبه مصلحتي أولا وأخيرا ، وإذا متّ ظمآنا فلا نزل القطر.

في عالم اليوم تجد الرجل الإنكليزي في بريطانيا والأمريكي في الولايات المتحدة مثلا، على غاية من الالتزام بأخلاقيات المواطن الصالح ، في بيته وعمله ومعاملاته مع الآخرين، فإذا خرج هذا الإنسان إلى إحدى المستعمرات مثلا ، تحوّل من إنسان إلى وحش، نسي إنسانيته أو تركها في بلده وجاء إلى هنا يستعبد الناس وينهب ثرواتهم ويحرمهم أدنى حقوقهم ، وهو مازال يشعر بالرضاء ، فأخلاقيات المواطن الصالح تدفعه إلى ذلك.

الأخلاق عندهم مصلحة مرتبطة بالزمان والمكان والنفع والضرر.

---

(١) أحمد(٢ / ٣٨١).

(٢) البداية والنهاية (٣ / ٢٥٥) .

أما فى المنهج التربوى الإسلامى فالفضيلة هى الصفة الجامعة للخصائص التى يجب أن يتميز بها الإنسان في الفكر والسلوك ، مما يجعل الأخلاق جوهر العملية التربوية ، الأخلاق فى كل شيء ، فى القول والعمل، فى البيت والشارع، فى المصنع والمتجر، في السياسة والمعاملات ، فى بلدك وفي بلدان الآخرين ، فهى أخلاق تنبعث من عقيدة المسلم ومبادئه لا من أنانياته ومصالحه، والفرائض التي افترضها الإسلام على المسلمين إنْ هي إلا تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظلّ متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف.

ففي الصلاة مثلا يقول تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (١) .

وكذلك الأمر في بقية العبادات فهي مدارج الكمال المنشود وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها.

ولا يقتصر حسن الخلق على مجرد الفعل ؛ وذلك لأن الصورة الظاهرة (الخَلق) قد لا تعبر عن الصورة الباطنة (الخُلق) فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء (٢).

أهم خصائص الأخلاق الإسلامية :

* إن السلوك الأخلاقي ليس هو الفعل الظاهر فحسب، بل يدخل فيه أعمال القلوب من النيات والإرادات والغايات وتترتب عليها المسؤولية والجزاء.

* يوسع الإسلام دائرة العلاقات الأخلاقية، فلا تقتصر على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بل يدخل في إطار هذه العلاقة الأخلاقية علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقته بالحيوان أيضا.

---

(١) العنكبوت : ٤٥.

(٢) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٣ / ٨٥.

* إن القيم الأخلاقية في نظر الإسلام ليست نسبية تتغير من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى آخر، ثم من زمن إلى زمن ، بل هى قيم تزداد ثباتا وضرورة كلما مرت الإنسانية بتجارب في حياتها الأرضية.

* ثم إن قيم الأخلاق متعددة فهي تحمل قيما اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية وقيما روحية وذاتية شخصية. كما وضع الإسلام معايير أخلاقية لمعرفة السلوك الأخلاقي وقيمه المختلفة.

* تكامل جميع المبادئ الأخلاقية الصالحة للحياة الإنسانية المستمرة فى الأخلاق الإسلامية ، ففى ميدان احترام الإنسان تجعل لكل إنسان كرامة بصرف النظر عن جنسه ولونه واتجاهاته الخاصة، وبناء على ذلك تدعو إلى احترام جميع الحقوق الطبيعية للإنسان، بل أكثر من ذلك فإنها تدعو إلى تحقيق تلك الحقوق للناس «خير الناس أنفعهم للناس» [1].

كما تدعو إلى المحبة والمودة والإخاء والمساواة بين الناس.

وفى ميدان المعاملة: تدعو إلى احترام العقود وأداء الأمانات والنزاهة والصدق وتنهى عن الاستغلال والمماطلة والغش والكذب والخداع والخيانة، وما إلى ذلك من الصفات الذميمة التى تفتك بالكيان الاجتماعى وتقطع أوصاله.

وفى ميدان السياسة والحكم: تدعو هذه الأخلاق الكريمة إلى احترام العهود والمواثيق المبرمة وإلى الحكم بالعدل والمساواة والعمل من أجل رفع مستوى الأمة، وتنهى عن الغدر والمفاجأة بالعدوان والتسلط والتجبر وما إلى ذلك من الصفات القبيحة.

وفى ميدان الاقتصاد: تدعو إلى العمل الجاد والإتقان والإبداع والابتكار في الإنتاج والصناعة، وذلك لتعميم الخير للمجتمع، ثم تدعو من ناحية أخرى إلى التقشف والقناعة وعدم التبذير والإسراف في المآكل والمشرب والملبس. ومعلوم أن النمو الاقتصادي لا يتحقق إلا بهاتين الطريقتين.

---

(١) الجامع الصغير: السيوطى(٤٠٤٤) .

وفي ميدان العلم: تدعو إلى التعلم والتعليم والتربية واستخدام العلم في طريق الخير كما تنفر من الجهل ومن عدم العمل بمقتضى العلم.

وأخيرا تدعو هذه الأخلاق إلى عدم الشروع في أي عمل إلا بناء على علم ومعرفة. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

وهكذا جاء الإسلام بأكمل الأخلاق وأصلحها. قال الرسول ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [2]، وكان الرسول ﷺ يمثل هذه الأخلاق في حياته العملية، قال تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3].

* إن صلة اتساع مفهوم الأخلاق لا تقتصر على التربية الأخلاقية فحسب، بل تؤثر كذلك على طبيعة عملية التربية بعامة، فليس هناك سلوك إرادي صادر من إنسان راشد إلا ويخضع لهذه القيم الأخلاقية. إذن فكل سلوك وكل عمل إما أن يكون أخلاقيا أو غير أخلاقي.

وعليه فإن عملية التربية باعتبارها عملا من الأعمال فلابد من أن تخضع للروح الأخلاقية،وأن تدخل في ميدان من الميادين الأخلاقية،وعليه فإن كثيرا من التربويين يعدون عمَلية التربية عملية أخلاقية من عدة نواح :

* منها: أن التربية هي انتقال من الأسوأ إلى الأفضل. يقول جون ديوي: أن عملية التربية والعملية الأخلاقية شيء واحد ما دامت الثانية لا تخرج عن أنها انتقال الخبرة باستمرار من أمر سيئ إلى أحسن منه وأفضل [4].

---

(١) الإسراء.

(٢) أحمد (٢/ ٢٨١).

(٣) القلم.

(٤) تجديد فى الفلسفة: جون ديوى ص ٢٩٩.

* ومنها :أن التربية عملية اختيار البديل الأفضل في السلوك، وهذه أيضا عملية أخلاقية. يقول د. محمد عبد الله دراز: (ولقد يذهب الظن بالبعض إلى أن علم الأخلاق إنما يعني شعبة واحدة من بين الشعب التربوية وهي شعبة التربية الأخلاقية، وليس الأمر كذلك فإن سلطان الأخلاق منبسط على وجوه النشاط الإنساني كله لا يشذ عنه عمل تربوي ولا غير تربوي ولا يتفاوت في حكمه نشاط بدني أو عقلي أو فني أو أدبي أو روحي، فالفنان الذي يجافي بفنه قانون الحشمة واللياقة ويهتك به ستر الحياء والعفاف يتصدى لمقت الضمير الحي وإن لم تؤاخذه قواعد الفن) [1].

حقيقة التربية الأخلاقية الإسلامية :

إن حقيقة هذه التربية في نظر الإسلام هي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من الناحية الأخلاقية، بحيث يصبح في حياته مفتاحا للخير ومغلاقا للشر في كل الظروف والأحوال، ويسارع إلى الخيرات ويتسابق فيها كما يسارع إلى إزالة الشرور.

* أما من حيث تطهير النفس أولا من جمع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة فإنه أمر لا غنى عنه في ميدان التربية، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [2].

* لكن مجرد التطهير لا يكفي، فلابد من التزكية التي تفيد التطهير مع التنمية أو تقوية دوافع العمل الصالح. ولهذا كان الرسول ﷺ يستخدم وسائل كثيرة يقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ [3].

---

(١) كلمات في مبادئ الأخلاق: د. محمد عبد الله دراز ص ٣٩، من كتاب جوانب التربية الإسلامية الأساسية- د. مقداد يالجن ص ٢٨١-٣٨٧ باختصار.

(٢) الأحزاب : ٣٣

(٣) البقرة : ١٥١ .

* والتطهير وتنمية الروح الأخلاقية تحتاج إلى تعليم وتبصير أخلاقي.. إذ لا بد من وعي أخلاقي ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية. ولا بد من بصيرة أخلاقية ليستطيع المرء التمييز بين السلوك الخيّر والسلوك الشرير، قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (١).

أي أن يعرف الحق لذاته، وأن يعرف الخير لأجل العمل به. ولهذا كان من أساليب التعاليم الإسلامية التبصير بالحقائق، وأن يكون المربي على بصيرة بأساليب التربية ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (٤).

ومن ثم دعا الإسلام إلى تعليم الخير وتعلمه، لأنه وسيلة التبصرة وتكوين الوعي الأخلاقي، قال ﷺ: « من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (٥).

*ولكن تكوين البصيرة الأخلاقية لا يكفي.. إذ لا بد مع ذلك من تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية، ودعوة الغير للالتزام كذلك. قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٦).

---

(١) البقرة.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) الأنعام: ١٠٤.

(٤) الصافات.

(٥) التاج ١/ ٦٩.

(٦) آل عمران.

فإذا وصل المرء إلى هذا المستوى فقد تكوّن أخلاقيا وأصبح إنسانا كاملا. قال رسول الله ﷺ: « خيركم إسلاما أحسنكم أخلاقا إذا فقهوا» [1] .

وقال أيضا: «فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر » [2] .

أهم وسائل التربية الأخلاقية:

أولا :الوسائل البيئية الاجتماعية:

إن تنشئة الطفل الصالح كتنشئة الزرع الصالح، وكما أنه لا يمكن تنشئة الزرع الصالح قبل تهيئة الأرض وإصلاحها، كذلك لا يمكن أن ننشئ أطفالا ونربيهم تربية أخلاقية صالحة في مجتمع فاسد، ذلك أن الأمراض تنتقل بالعدوى كذلك الأمراض الاجتماعية الأخلاقية تنتقل بالعدوى الاجتماعية وبالمحاكاة والتقليد. قال تعالى :﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [3] .

ثم إننا لا نستطيع تربية الطفل بعيدا عن المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة، لأن التربية الأخلاقية لا يمكن أن تتم في النهاية إلا بالتربية العلمية في مضمون اجتماعي، وفي إطار مجتمع ما مهما كان صغيرا.

ولو تصورنا إمكانية تربية الطفل في بيئة فاسدة ، فلا يمكن أن نطمئن إلى استمرار أثر هذه التربية ؛ لأن المغريات الفاسدة لا بد من أن تغلب على المتربي يوما إذا كانت أقوى من إرادته.

وعليه فلا بد من اتخاذ الوسائل البيئية الاجتماعية الآتية للتربية الأخلاقية:

---

(١) أحمد (٢/ ٤٦٧) .

(٢) ابن ماجه (٢٣٧) .

(٣) الأعراف :٥٨ .

١- تطهير البيئة الاجتماعية من جميع مظاهر الفساد:

قال تعالى:﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ ﴾ (٢).

فالضرر الناتج عن إعلان الفساد ضعف الضرر الناتج عن إخفائه إذا نظرنا إلى ذلك من الناحية التربوية.

وبعد ذلك أمر كل فرد بإزالة ما يراه من مفاسد المجتمع، وجعله مسؤولا عن ذلك بقدر استطاعته، قال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (٣).

٢- اتخاذ جميع المؤسسات الاجتماعية وسائل تربوية:

وذلك بترشيد هذه المؤسسات، فبدلا من أن تلقن دروسا في الإفساد الأخلاقي، فعلينا أن نجعلها تلقن في كل مظاهرها دروسا في التربية الأخلاقية.

٣- تكوين جماعة لها سلطة إدارية لترشيد التربية الأخلاقية:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٤).

---

(١) الأنعام.

(٢) الأعراف: ٣٣.

(٣) مسلم (٤٩ / ٧٨).

(٤) آل عمران.

٤ - اتخاذ وسائل اجتماعية غير مباشرة للتربية الأخلاقية مثل:

اتخاذ الألعاب الاجتماعية المختلفة وسيلة للتربية الأخلاقية في مختلف المراحل التربوية.

فالألعاب وسيلة طبيعية لاستنفاد الطاقة الزائدة عن الحاجة وخاصة الطاقات الشهوية، فإذا لم تستنفد في أعمال نزيهة شريفة فلا بد من أن تؤدي أو تدفع الإنسان إلى الانحراف.

واللعب وسيلة من وسائل الاستعلاء على الغرائز، وإخلاء السبيل أمام النزعات المكبوتة المضادة للحياة الاجتماعية.

واللعب تعبير عما يود الأطفال أن يعملوه لو كانوا كبارا، ولهذا نجدهم يمثلون في ألعابهم الأطباء والممرضات وأعمال الآباء والأمهات.

واللعب وسيلة للترفيه ولتعويض النشاط المستنزف.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «وينبغي أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه»[1].

واللعب وسيلة للتدريب على المبادئ الأخلاقية مثل الشجاعة والنظام وقوة الاحتمال وروح الإنصاف وما إلى ذلك من المبادئ الأخلاقية.

ولقد شجع الإسلام على اتخاذ الألعاب كوسيلة اجتماعية للتربية الأخلاقية ولكن بشروط.. فقد حرم الألعاب الضارة، وشجع على الألعاب التي تتخذ وسيلة لتنمية الشعور بالأخوة والمساواة والمودة بين الأطفال، كما شجع على الألعاب التي تتخذ وسيلة للتدريب على أداء الواجبات في حياة مستقلة.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٣.

تكوين صحبة صالحة: فالصبي يتأثر بأخلاق أصدقائه الصبيان أكثر، فالصبي من الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس[1] . قال الإمام أبو حامد الغزالي: «الطبع يسرق من الطبع الشر والخير معا»[2] .

تكوين قدوة صالحة أمام الطفل: قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[3] .

هذا إلى أنه يجب أن تكون شخصية الرسول ﷺ خير قدوة أمام المربين والمتربين على حد سواء.

* أما أن يكون خير قدوة للمربين ففي تمثيله الحياة الأخلاقية لدرجة أن المرء يستطيع أن يقرأ المبادئ الأخلاقية في حياته، ولهذا لما سئلت السيدة عائشة عن أخلاقه قالت: (كان خلقه القرآن) [4] ،وأثنى الله تعالى على أخلاقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾[5] .

كما يجب أن يتخذه المربي قدوة في أساليب تربيته كمرب ومعلم ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[6] .

* أما وجوب كون الرسول ﷺ خير قدوة للمتربين فإن التربية الأخلاقية تقتضي وضع شخصية أخلاقية مثالية تكون نموذجا حيا يقتدون بها ويهتدون بهديها ولن نجد هناك شخصية أخلاقية أكثر مثالية من شخصية الرسول ﷺ ولهذا قال تعالى:

---

(١) السياسة لابن سينا .

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٦٠ .

(٣) الأنعام : ٩٠ .

(٤) مسلم (٧٤٦/ ١٣٩) .

(٥) القلم.

(٦) الجمعة : ٢ .

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[1]، وذلك ليتخذوه قدوة دائمة في حياتهم كلها، ولهذا دعا الله تعالى إلى اتخاذ شخصية الرسول ﷺ قدوة حسنة للمربين والمتربين على حد سواء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2].

ولما للقدوة من هذه الأهمية البالغة لا يكفي أن يكون المربون والمحيطون بالمتربين قدوة حسنة في الأخلاق، بل لا بد من أن يكون المجتمع كله قدوة حسنة فلا يظهر فيه ما ينافي الأخلاق. كان المؤمنون يتسابقون إلى مكارم الأخلاق فقد أخبرهم المربي الأول محمد ﷺ فقال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا»، وعندما سئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وقال أيضا: « ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق »[3].

فإذا أحب المؤمنون لقاءه في الجنة أخبرهم ﷺ « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»[4].

بهذه التعاليم أصبح المجتمع كله أخلاقيا، وصار بالتالي قدوة للمتربين.

ثانيا: الوسائل التبصيرية العقلية والعلمية:

بعد إعداد البيئة للتربية الأخلاقية بحيث تكون عاملا موجها ودافعا إلى الفضيلة من الخارج وقدوة صالحة للالتزام بالفضيلة، يجب البحث عن وسائل أخرى تكون موجها داخليا نحو الالتزام بالفضائل وترك الرذائل، وإذا تضافر العنصران (البيئة من الخارج والتوجيه الداخلي) كان ذلك كفيلا بتكوين إنسان له اتجاه سليم نحو الفضيلة يستطيع الدفاع عنها ويتحمس لها.

---

(١) النور: ٥٤.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الترمذي (٢٠٠٣).

(٤) أحمد (٢/ ١٦١).

وتكوين عنصر التوجيه الداخلي يكون بتكوين بصيرة علمية أخلاقية ، وذلك بالكشف عن الحقائق الأخلاقية وقيمها المختلفة من الناحية العقلية والعلمية، ثم بتحديد حدود الخير والشر ومعاييرهما معا في نظر المتربي ، وذلك كله ليستطيع توجيه سلوكه بدقة نحو الخير عن علم وبصيرة وحكمة دقيقة.

وأهم الجوانب التي تساعد في تكوين هذه البصيرة هي:

* اتخاذ العلوم والمعرفة وسيلة أساسية للتبصير بالحقائق الأخلاقية وبيان قيمها المختلفة. يقول الإمام الغزالي: (لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن) [1] .

* ومنها تعليم الأخلاق كعلم مستقل من بين العلوم الأخرى: وذلك بالإحاطة بالنظرية الأخلاقية بصورة عامة أو تحديد روح التفكير الأخلاقي الذي يسري في جميع المبادئ والأحكام الأخلاقية، وعن طريق ذلك نستطيع أن نعرف حكم الأخلاق في المواقف المختلفة في الحياة العملية.

* ومنها اتخاذ التربية الفكرية وسيلة للبصيرة الأخلاقية. والتربية الفكرية ليست هي تكديس المعلومات وتخزينها في العقل، وإنما هي في الحقيقة تمرين العقل على الرؤية الصادقة، وعلى التمييز بين الحق والباطل.

* ومنها كذلك تبصيره بوسائل تحكيم العقل على السلوك الأخلاقي، وتحكمه فيه، وأهم وسيلة إلى ذلك هي الإقناع بأن الأخلاق بصفة عامة أمر منطقي خاضع للعقل.

ثالثا : الوسائل الوجدانية والعاطفية :

بعد تكوين البصيرة الأخلاقية من الناحية العلمية والعقلية نحتاج إلى تكوين وجدان أخلاقي حساس وعاطفة أخلاقية قوية ؛ لأن الأول بمثابة ضوء كاشف لجنبات

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥٤ .

الطريق المستقيم وبمثابة تكوين قيادة حكيمة، والثاني بمثابة طاقة دافعة إلى السير في الطريق إلى النهاية.

أما أهم وسائل التربية الوجدانية فهي:

* تجنب الخطيئة والآثام.

* الندم والتوبة بعد الإقلاع عن الخطيئة وعدم الرجوع إليها.

* الاستمرار بممارسة الفضائل.

* المراقبة الدائمة لأعمال القلب ومحاسبتها.

كيف يبني المربي تلميذه أخلاقيا؟

الأخلاق تكتسب ، فالعلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم، والرسول ﷺ يقول: « تعلموا الأخلاق»، والمربي القدير يلاحظ في رياضته لتلميذه الأمور التالية:

* عليه مراعاة الفروق الفردية، فلو أشار على تلامذته بنمط واحد من الرياضة لأهلكهم وأمات قلوبهم. بل ينبغي أن ينظر في حال التلميذ وما تحتمله بنيته من الرياضة.

* والتدرج في عملية التهذيب، بأن ينقل المربي تلميذه من خلق مذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه.. وهكذا حتى يصل إلى تهذيبه.

* والوفاء بالعزم ، فإذا عزم على ترك شهوة ، فينبغي أن يصبر ويستمر، فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت نفسه ذلك وفسدت [1] .

والتربية الأخلاقية التي تعيد بناء الشخصية الإسلامية.. تعمل على أن يزيل صاحبها جميع العادات السيئة فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات وأن يتعود العادات الحسنة يشتاق إليها فيؤديها ويتنعم بها ، ويكون ذلك بالمجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

---

(١) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ٣ / ٦٧.

بين الفرد والمجتمع :

والأخلاق قضية شخصية تنعكس على الجماعة ، فما معنى الصدق والوفاء والتعاون والحب والعدل ، إن بقيت قضايا نظرية داخل النفس لا تجد لها أثرا في المجتمع؟

فالصدق يحتاج إلى إنسان صادق يتعامل بصدق مع الآخرين فيكونوا مجتمعا صادقا. وهكذا.

وليس من حق أي إنسان أن يحقق ذاته على حساب الآخرين، لقوله ﷺ : «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ولا يظلم أحد أحداً»[1].

«فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره»[2].

فالتربية الإسلامية تحرص على تربية الفرد على الفضيلة وتحمله مسؤولية أعماله وتصرفاته. فكل امرئ بما كسب رهين ، ولكنها في نفس الوقت تنظر إليه كفرد في جماعة. فكما أن الفرد كل له أجزاء ، فهو أيضا جزء من كل هو المجتمع. قال ﷺ:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3].

فالغاية الاجتماعية تقوم على أسس واضحة قوامها الحب في الله والبغض في الله.

وفي إطار الحب في الله والبغض في الله تتحقق السعادة الفردية والاجتماعية على حد سواء ؛ لأن حب الله تعالى لابد أن ينعكس حبا بين بني البشر ، مصداقا للحديث الشريف : «لا تؤمنوا حتى تحابوا»[4].

وليس من شرط الحب في الله ألا يحب المسلم دنياه، ودعاء الأنبياء يجمع بين الدنيا والآخرة:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[5].

---

(١) البخارى (٦٠٧٦) ،ومسلم (٢٥٥٩/ ٢٣).

(٢) مسلم (٢٥٦٤/ ٣٢).

(٣) مسلم (٢٥٨٦/ ٦٦).

(٤) مسلم (٥٤/ ٩٣).

(٥) البقرة.

وعلى الجملة، فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى، فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله ؟

في التربية الأخلاقية :

* تسود القيم الأصيلة.. وتنتهي قيم العصبية والجاه والمال .

* ويكرّم الإنسان لإنسانيته.. وليس للونه أو أرضه أو منصبه أو دينه، خير الناس أنفعهم لعياله.

* وتكرّم الحياة، إنسانها وحيوانها ونباتها وجمادها.

ففي التعاليم الإسلامية: «لا تقتلوا طفلا ولا تقتلوا امرأة ولا شيخا، ولا تقطعوا شجرة». ورسول الله ﷺ يوصينا بالبيئة فيقول: «أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه»، ويقول: «لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر» .

بهذه التربية الأخلاقية يرتفع المسلم ، يبني الحياة، ويسعد المجتمع .

وعليه فإذا أردت أن تعرف صلاحية منهاج تربوي من عدمه ، فانظر إلى أولئك الذين نهلوا وتربوا في إطار هذا المنهاج ، فإذا كانوا أصحاب خلق رفيعَ ، يصبرون عند الشدة ، ويبذلون في سبيل المبدأ ، ولا يصرفهم الغضب عن الخلق ، يحبون إخوانهم ويحفظون غيبتهم ، ويحسنون الظن بهم ، فاعلم أن المنهاج سليم والمشرفين على تطبيقه يحسنون أداء مهمتهم ، أما إذا رأيت أخلاقا مصطنعة ، وأنانية متحكمة، فاعلم أن التربية لم تبلغ ما أرادته ، إما لخلل في المنهاج ، أو لخلل في المربين.

والأخلاق لا تظهر في الرخاء وساعات الصفاء ففي هذه الساعات كل الناس أخلاقيون ، ولكن الأخلاق تظهر عند الخلاف ، فليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

عاشرا : تربية اجتماعية :

يعرّف دوركايم (الذي يعتبره الغربيون مؤسس علم الاجتماع) التربية بأنها التأثير الذي تمارسه الأجيال الأكبر سنا على تلك الأجيال التي ليست مؤهلة بعد للحياة الاجتماعية. وهي تستهدف تنمية القدرات الجسمية والعقلية والأخلاقية للطفل حتى يستطيع التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه[1].

ولا تكتفي التربية بأن تكون تابعة للتغيرات الاجتماعية، بل تلعب دورا بارزا في قيادة التطور الاجتماعي والسعي لإيجاد حياة اجتماعية أفضل، وذلك بتوجيه الأفراد نحو الأهداف والمثل بما يساعدهم على تحسين الأوضاع الاجتماعية[2].

وعليه فالتربية تكتسب السمة الاجتماعية لأنها لا يمكن أن تتم في فراغ ولا يمكن أن تعيش بمعزل عن مشكلات واحتياجات وتطلعات الأفراد[3].

ولقد أولى الإسلام القضايا الاجتماعية أهمية خاصة.

ففي إطار الأسرة :

حرص الإسلام أن تكون أواصر المحبة والعطف والحنان والرحمة بين أفراد الأسرة قوية ومتينة. فقد أوصى الإنسان بوالديه فقال تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

---

(١) المعنى الاجتماعي للتربية : السيد محمد الحسيني، من كتاب التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي (المرجع السابق)، ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤) الإسراء.

وأوصاه بصلة الرحم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» [1] ورفع من مكانة الأم بخاصة «فلما سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن أحق الناس بحسن صحابته؟ قال له: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك» [2].

والعقوق آفة تنخر في جسم المجتمع.. وهو في مجال الأسرة أشد بشاعة وأعظم خطرا. وإذا كان على الأبناء البر والإجلال والاحترام لآبائهم، فعلى الآباء في الوقت نفسه حسن تربية الأبناء وتعليمهم وتثقيفهم وتهذيبهم.

حقوق الجوار:

والإنسان المتزن في شخصيته، بعد أن يقوم بأداء واجباته تجاه أسرته، يرعى حقوق جاره. قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» [3].

وانظر إلى هذا السؤال وجواب رسول الله ﷺ عليه.. قال أحدهم: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ فقال ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت» [4].

أرأيت كيف ربط رسول الله ﷺ بين الإيمان والسلوك العملي التطبيقي، بين النظري والعملي، بين الفكر والعمل، بين الفرد والمجتمع؟

التعاطف الاجتماعي:

وبعد الأسرة.. والجوار.. حث الإسلام المسلم على الاهتمام بجميع أفراد المجتمع ومشاركتهم فرحهم وترحهم ومشاعرهم ومشاكلهم، قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٣٢).

(٢) البخاري (٥٩٧١).

(٣) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧/ ٧٥).

(٤) ابن ماجه (٤٢٢٣)، وأحمد (١/ ٤٠٢).

في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[1]. وقال أيضا: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[2].

هل فوق هذا الأفق من أفق؟!

ولم تكن هذه التعاليم مجرد أقوال، بل أفعالٌ وسلوك، ومن ينظر إلى فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين يدرك عظمة هذا الدين، وعظمة المؤمنين الذين طبقوا مبادئه وتعاليمه.

وعليه فالمجتمع الإسلامي. مجتمع تسوده قيم:

١- الإخاء.. يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3].

٢- وقيم التعاطف والتواد.. يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4].

٣- وقيم المسؤولية الاجتماعية.. يقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[5].

---

(١) مسلم (٢٥٨٦/٦٦).

(٢) مسلم (٢٦٩٩/٣٨).

(٣) البخاري (١٣).

(٤) مسلم (٢٥٨٦/٦٦).

(٥) البخاري (٢٥٥٨).

ولا يقتصر الرفق أو المعاملة الحسنة على المسلمين وحدهم في المجتمع. فللمواطنين من غير المسلمين نصيب من ذلك. في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك (أي الموت).

فقال النبي ﷺ: «وعليكم».

قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: بل عليكم السام واللعنة.

فقال ﷺ: يا عائشة: «إن الله يحب الرفق في كل شيء»[1].

يقول تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

هذا الدفع بالتي هي أحسن. يصلح النفوس ويدربها على إصلاح المجتمع، وعلاقة الفرد بالمجتمع ذات اتجاهين:

فالفرد الصالح هو الذي يصلح المجتمع، ويؤثر المجتمع الصالح بالتالي على الفرد فيزيده صلاحا، والرجل الفاسد يفسد المجتمع، ويؤثر بالتالي على الأفراد فيزدادون سوءا.

مسؤولية الفرد والجماعة:

والفرد في الجماعة يشعر بالراحة النفسية والأمن والقوة والحماية.. فإذا شذ فرد عن السلوك الجماعي السليم، أو اقترف أخطاء اجتماعية كبيرة.. فعلى الجماعة الراشدة أن تعالج هذا الفرد بقصد الإصلاح.

وموقف المجتمع المسلم من كعب بن مالك ﷺ حين أمر النبي ﷺ المسلمين بمقاطعته، إنما كان بقصد إصلاحه. فقد تعرض هذا الصحابي الجليل إلى الضعف والتردد النفسي.. الأمر الذي منعه من الإلتحاق برسول الله ﷺ وأصحابه في معركة تبوك. فنهى رسول الله ﷺ المسلمين عن التكلم معه.. ثم أمره بأن يعتزل زوجه.. وبعد خمسين يوما من المقاطعة.. وبعد أن ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت جاءته البشرى.

---

(١) أحمد (٦/ ٣٧).

(٢) المؤمنون: ٩٦.

تحمل هذا الصحابي الجليل كل المصاعب النفسية والآلام ، ولكنه العلاج الذي عاد منه كعب بن مالك سليما معافى كجزء من المجتمع المسلم.

حادي عشر : تربية تتذوق الجمال :

الإسلام دين واقعي ، فهو يتعامل مع الإنسان كله : جسمه وروحه وعقله ووجدانه . ويطالبه أن يغذيها جميعا، بما يشبع حاجتها ، في حدود الاعتدال، الذي هو صفة عباد الرحمن ،﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] .

وإذا كانت الرياضة تغذي الجسم، والعبادة تغذي الروح، والعلم يغذي العقل، فإن الإحساس بالجمال يغذي الوجدان.

المؤمن عميق الإحساس بالجمال:

إن المتجول في رياض القرآن الكريم يرى بوضوح: أنه يريد أن يغرس في عقل كل مؤمن وقلبه الشعور بالجمال المبثوث في أجزاء الكون، من فوقه، ومن تحته، ومن حوله، في السماء والأرض، والنبات والحيوان والإنسان.

هذا الإحساس بالجمال وتذوقه يجعل الإنسان المسلم أرق حاشية، وأعذب عبارة، وجهه مبتسم، ويده معطاءة، وروحه مرفرفة، ثوبه نظيف يفوح الطيب من أردانه، يحب الناس ويحاول إسعادهم ، فهو جزء من منظومة الجمال التي يبثها الله تعالى في كل خلقه.

ينظر إلى السماء فماذا يرى؟

قال تعالى:﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ [2] .

وقال:﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3].

---

(١) الفرقان.

(٢) الصافات.

(٣) الحجر.

وقال:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ﴾ (١).

يرى الجمال والزينة والتناسق العظيم الذي يجعل الإنسان خاشعا مخبتا لعظمة الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه.

وإذا انتقل الإنسان بنظره إلى الأرض وما تضم من جبال شاهقة، ووديان سحيقة، وبحار متلاطمة ، وأنهار جارية ، وغابات خضراء ، وصحار جرداء ، يسبّح الخالق وهو يقرأ قوله :﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ﴾ (٢).

يرى الأرض الميتة.. فإذا ساق الله إليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ (٣).

صور متلاحقة ، زاهية ملونة، وثمار حلوة نضرة، يأكل منها الإنسان،ويمتع ناظريه في هذا الجمال الخارق الذي يأخذ بالألباب.

في هذا البساط الممتد .. تسرح أنواع الأنعام التي يستفيد الإنسان من دفئها. ولحومها. وركوبها . ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ ﴾ (٤).

---

(١) الملك.

(٢) ق .

(٣) الأنعام .

(٤) النحل.

ومع المنفعة المادية تلفتنا الآية إلى الجمال والبهاء في هذه الأنعام، وهي تغدو إلى مرعاها وتروح عشية إلى مأواها. تبارك الله أحسن الخالقين.

وإذا كانت الأرض ممتدة فسيحة. فهي لا تشكل إلا جزءا صغيرا من امتداد البحار وسعتها ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[1].

والبحار عالم آخر ذاخر بالعجائب، يؤمن للإنسان احتياجات لا حصر لها، ويوفر له غذاء طريا مفيداً، ولكن الآية تلفت نظرنا إلى الجمال في هذا العالم، وإلى الحلية التي تستخرج منه وتلبس للزينة فتستمتع بها العين والنفس.

وبعد الجمال المبثوث في السموات والأرض، والزروع والأنعام والبحار، يلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى خلقه﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾[2].

وإذا كان لكل خلق عظمته وجماله وحسنه، فإن جمال الإنسان أعظم من كل ما سواه، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن تصويره.

وهل ينقضي عجب الإنسان، وهو يتأمل هذا التناسق والجمال في خلقه، وهو يتعرف إلى أعضائه الظاهرة والباطنة وما أودعها الله من أسرار الخلق والحياة، وهو يرى هذا القلب الذي إذا صلح صلحت الحياة معه، وهذا العقل الذي يهدي إلى البر والخير والإيمان؟

وإذا كان الجميل اسم من أسمائه تعالى الحسنى وصفة من صفاته العلا.. و«إن الله جميل يحب الجمال»[3]، فلن يتردد المسلم أن يستجيب لأمر خالقه:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟

---

(١) النحل: ١٤.

(٢) الذاريات.

(٣) مسلم (٩١/ ١٤٧).

زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [1].

وهل بإمكانه أن يعرض عن هذه الزينة.. وهي زينة الله التي أخرج لعباده؟!

القرآن معجزة جمالية:

والقرآن الكريم آية الإسلام الكبرى، ومعجزة الرسول العظمى: يعتبر معجزة جمالية، إضافة إلى أنه معجزة عقلية، فقد أعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظمه وأسلوبه، وتفرد لحنه وموسيقاه، حتى سماه بعضهم: سحرا.

ومن المطلوب في تلاوة القرآن أن ينضم جمال الصوت والأداء إلى جمال البيان والنظم، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [2].

وقال الرسول ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[3].

وفي رواية: «فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» [4].

وقال ﷺ لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة! لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود! فقال أبو موسى: لو علمت ذلك لحبّرته لك تحبيرا» [5].

وقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به» [6] [7].

---

(١) الأعراف.

(٢) المزمل.

(٣) البخاري معلقا (الفتح ١٣/ ٥١٨).

(٤) أبو داود (١٤٦٨)، والدارمي (٣٥٠١).

(٥) البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣/ ٢٣٥).

(٦) البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢/ ٢٣٣).

(٧) ملامح المجتمع المسلم: د.يوسف القرضاوي ص ٢٤٤-٢٥٠ بتصرف.

تربية تتذوق الجمال :

هذا الجمال المبثوث.. وهذا التفاعل بين الإنسان والجمال ، يعطي التربية الإسلامية لونها المميز.

* تربية تدخل إلى العقيدة من باب جمال الكون ودقة نظامه. عندما سمع أعرابي قوله تعالى:﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [1] سجد فقيل له: لم سجدت؟ قال سجدت لجماله.

* وتدخل في صلب العبادة.. فالطهارة شرط من شروطها..

* وتعطي السلوك الحسن والفضائل الخلقية [2] . قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [3].

كل ذلك الجمال يضفي شخصية المؤمن ، ويتحول به إلى سلوك حسن نظيف زكي جميل.. يتلقاه الناس كما يتلقون النسمة الرائحة

من هذه الفضائل:

* نظافة الجسم والملبس، واللباس النظيف الجميل للرجل، والساتر السابغ للمرأة، مما أمر به الإسلام، والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله، والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد (هو شريك الحياة) يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه [4].

---

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) الرسول العربي المربي (المربع السابق) ص ٣٧٠.

(٣) الكهف.

(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب ٤/ ٢٢١٢.

* وطيب الرائحة.

* والوجه البشوش المبتسم، يقول ابن القيم: (إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب، فليس الثقلاء بخواص الأولياء)[1].

* والحديث الجميل العذب المهذب، ومن ذلك الشعر الصادق، والبيان الذي يأخذ بالألباب.. قال النبي ﷺ: «إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكمة»[2]. ومن هذا النوع الفن المنضبط بقواعد الإسلام وما فيه من جمال، وسيلة هامة من وسائل التربية الإسلامية.

* ويتجنب هجر القول ومستقبح الكلام.. فالجمال ظاهر وباطن .. ومن جمال الباطن، نظافة الروح والنفس والعقل. قال الشاعر:

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

* ومن الجمال إحياء المجاملة المنضبطة، قال الماوردي: (البر هو المعروف ويتنوع نوعين قولا وعملا، فأما القول فهو طيب الكلام، وحسن البشر، والتودد بجميل القول وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع، ويجب أن يكون محدودا كالسخاء، فإن أسرف فيه كان ملقا مذموما، وإن توسط واقتصد فيه كان معروفا محمودا)[3]. ومن المجاملة:

* السؤال عن الحال.

* وإنزال الناس منازلهم.

* والاهتمام بالمظهر.

---

(١) الفوائد : ابن القيم.

(٢) أبو داود (٥٠١١).

(٣) أدب الدنيا والدين :الماوردى .

* ومراعاة المناسبات.

* ومن الجمال أن ترطب الأجواء بالمزاح البريء الصادق ، ورسولنا المعلم يوصينا بأن نروح القلوب ساعة أو بعض ساعة، فإنها إذا كلت عميت ، مزاح مع الصغير والكبير، بين الرجل وزوجته، بين الرجل وأبنائه، بين المعلم وتلامذته ،ولهم في رسول الله أسوة حسنة.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغرٌ يلعب به. فمات ، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا، فقال:« ما شأنه؟» قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عُمير ، ما فعل النُّغير؟»[1] .

وفي الحديث عن أنس ﷺ أن رجلا استحمل النبي ﷺ فقال له رسول الله: «إني حاملك على ولد الناقة» ، فقال الرجل: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟»[2] .

* والحياء من الإيمان وهو أعظم صور الجمال، فقد كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها.

وكان ﷺ يمهد التمهيد اللطيف الرقيق، إذا شاء أن يعلّم أصحابه ما يستحيى من التصريح به.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم، إذا أتيتم الغائط، فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها، وأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث، والرمة، ونهى أن يستطيب الرجل بيمينه»[3] .

وكان ﷺ في بعض الأحيان يكتفي بالإشارة لما يستحيا منه.

---

(١) البخاري (٦١٢٩).

(٢) الترمذي (١٩٩١).

(٣) أبو داود (٨).

في الحديث عن عائشة رضي الله عنها : أن أسماء بنت شكل، سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر بها، فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها، فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ قال: « سبحان الله تطهرين بها »[1] . فقالت عائشة - وكأنها تخفي ذلك : تتبعي أثر الدم.

هذا الجمال في المظهر والمخبر، في الثوب النظيف، والرائحة الزكية، والوجه المبتسم ، والحديث الجميل ، والمجاملة الكريمة، والمزاح البريء ، والحياء مما يستحيى .. كل ذلك يطبع شخصية المؤمن.. ويتحول بها إلى سلوك حسن نظيف جميل.. يتلقاه الناس كما يتلقون الرائحة الزكية.

---

(١) مسلم (٣٣٢/ ٦٠).

خلاصة الفصل السادس

خصائص التربية الإسلامية

١- تربية عقائدية (أهميتها، وسائلها).

٢- تربية إرادية.

٣- تربية إنسانية:

* المواطن الصالح المصلح.
* رسائل إلى قادة العالم.
* الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٤- تربية شاملة :

تركز على كافة جوانب الشخصية الإنسانية. (الجانب الروحي، العقلي، الجسمي، والنفسي).

٥- تربية متوازنة:

* توازن بين طاقات الجسم والعقل والروح.
* التوازن التربوي.

٦- تربية واقعية.

٧- تربية عملية.

* تعدل السلوك.

٨- تربية مستمرة.

٩- تربية أخلاقية.

* الأخلاق جوهر التربية.
* خصائص الأخلاق الإسلامية.
* التربية الأخلاقية.
* وسائل التربية الأخلاقية.

١٠- تربية اجتماعية.

١١- تربية تتذوق الجمال.